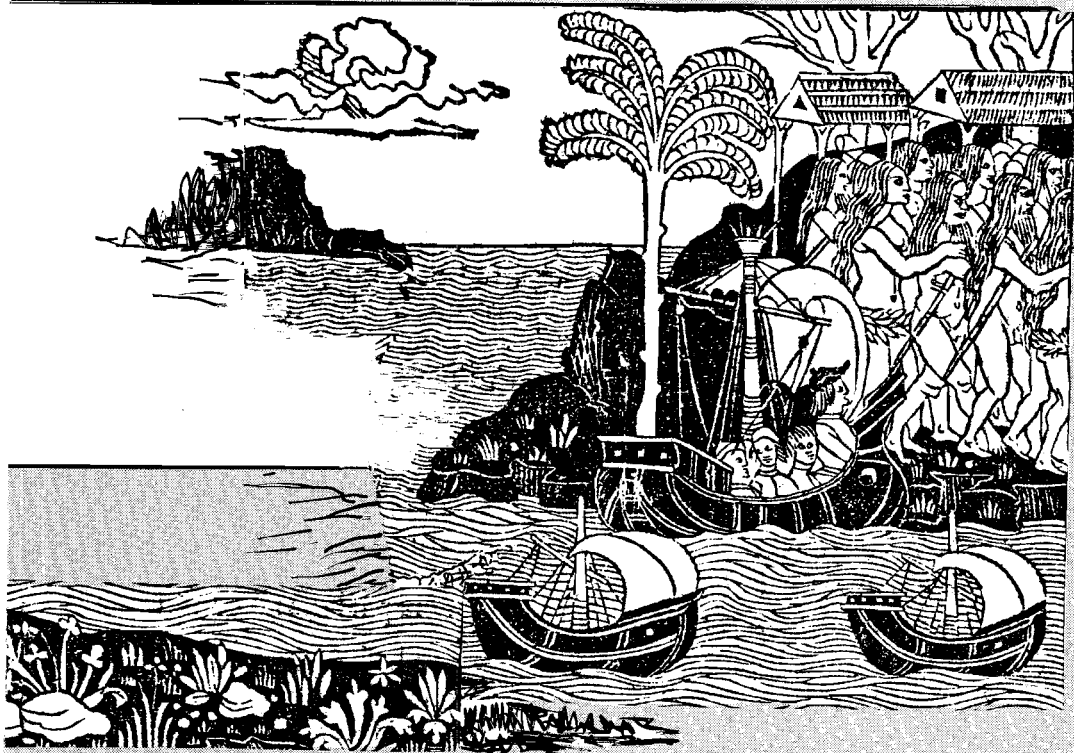


أين تقع بلاد وافت الواف
كما حدّدها الجغرافيون العرب

العلاقات التجارية بين ... كما يعكسها البلدان العرب



الخليج العربي وشرق أفريقيا - في العصر الوسيط

كان لسكان الخليج العربي صلة قديمة بشرق أفريقيا ، ويبدو من المعلومات المتوافرة بين أيدينا ان التجارة كانت الحافز الاول والأهم في هذه الصلة ، فقد كانت مصالحهم في ساحل شرق افريقيا هي امتداد لتجارتهم في الخليج العربي والبحر الاحمر والمحيط الهندي بصورة عامة . فالتجارة التي دفعت العرب الى الابحار الى شرق افريقيا حاملين معهم المواد التي يرغب بها سكان تلك المنطقة ، ليأخذوا بدلها منتجات الشرق الافريقي ، جعلتهم أقدم من عرف افريقيا الشرقية وأول من اتصل بسكانها^(١) .

الدكتورة صباح ابراهيم الشبخلي

ظل الاتصال بين الخليج العربي وشرق افريقيا ينمو ويتسع قبل الاسلام ، وساعد في ذلك جملة عوامل نذكر منها ، الطبيعة المناخية لشرق افريقيا والتي يسرت الملاحة في الخليج العربي ، ونقصد بذلك حركة الرياح الموسمية التي تهب على منطقة المحيط الهندي والتي مكنت السفن العربية الشراعية من القيام برحلتين منتظمتين في السنة بأقل مجهود . ففي شهر تشرين الثاني من كل سنة تبدأ هذه الرياح بالهبوب من الشمال والشمال الشرقي ولمدة اربعة أشهر فتنتطلق السفن العربية معها من الخليج العربي الى ساحل افريقيا الشرقي ، أما في شهر نيسان من كل سنة فتنعكس العملية حيث تبدأ هذه الرياح بالهبوب من الجنوب والجنوب الغربي لمدة اربعة أشهر أخرى فيخرج العرب بسفنهم التجارية معها من شرق افريقيا للعودة الى اوطانهم^(٢) . وقد ظلت الرياح الموسمية هذه سرا من الاسرار التي احتفظ بها التجار العرب (والهنود) لانفسهم ، والتي مكنتهم من السيطرة على التجارة مع شرق افريقيا ، الى ان تمكن ملاح اغريقي في القرن الأول الميلادي من كشف اتجاه هذه الرياح^(٣) . كما كان لعرب الخليج من الامكانيات ما سهل لهم عملية الاتصال بشرق افريقيا عن طريق البحر ، مثل المهارة الملاحية الناجمة عن البيئة البحرية التي عاشها سكان

الخليج ومعرفتهم الجيدة بالفلك والانواء . اما القرب المكاني بين سواحل الخليج والسواحل الشرقية لافريقيا فقد شجع سكان الخليج على الاتصال بشرق افريقيا ، وأخذ دور الوسيط التجاري في نقل منتجات شرق افريقيا وبضائعه الى الاسواق العالمية التي كانت تطلبها . ولم يكتف العرب بهذا الدور ، اذ بسبب التفاوت الزمني للرياح الموسمية صيفا وشتاء ، فقد اهتموا بايجاد مراكز ومحطات تجارية لهم في الساحل الافريقي الشرقي استخدمت كأسواق للتبادل التجاري ، وبصورة تدريجية تحولت هذه المراكز الى اماكن استقرار مؤقت او دائم للعرب وهي التي مكنتهم من متابعة أعمالهم التجارية^(٤) . ويبدو ان المستقرين العرب الاوائل في ساحل افريقيا الشرقية ، كانوا أول حلقة اتصال بين الخليج العربي وسواحل الجزيرة العربية وبين افريقيا الشرقية .

واذا كانت الصفقات التجارية قد جذبت عرب الخليج الى شرق افريقيا قبل الاسلام ، فإن ظهور الاسلام في القرن السابع الميلادي قد رافقه تغير تام في علاقات الخليج العربي بالشرق الافريقي ، ونقصد بذلك ان أول خطوات الاستقرار الدائم واقامة كيانات عربية اسلامية في شرق افريقيا كانت على يد عرب الخليج . فالصلة بين المنطقتين لم تقم على أساس التبادل التجاري فقط ، بل زادت

العلاقات وتنوعت في مختلف المجالات ، ولعل ما يؤكد ذلك الآثار التي ترتبت على الهجرات العربية الى شرق افريقيا في مجالات الدين ، واللغة والجنس ، والنظم الاجتماعية والاقتصادية والسياسية وغيرها .

ومما يجدر ذكره ان العوامل القديمة ظلت تلعب دورها في جذب عرب الخليج المسلمين على الهجرة الى الساحل الافريقي الشرقي والاستقرار فيه . فاهل الخليج استمروا على ما كانوا عليه قبل الاسلام ملاحين يتمتعون بمهارة فائقة ، وتجارا بارزين مشهودا لهم بالخبرة ، كما ظلت موانئ الخليج بعد الاسلام مراكز تجارية مزدهرة تنطلق منها السفن الشراعية باتجاه الشرق الافريقي ، وظلت الرياح الموسمية تتحكم في مسير هذه السفن الى شرق افريقيا . وفضلا عن ذلك فإن هناك عاملا جديدا هو بعد منطقة شرق افريقيا عن الصراعات السياسية والدينية التي شهدتها الدولة العربية الاسلامية في العصر الوسيط ، الامر الذي جعل افريقيا الشرقية محط أنظار الهاربين من الاضطهاد أو الاندحار السياسي .

والملاحظ ان الهجرات من الخليج العربي الى ساحل شرق افريقيا قد بدأت متقطعة منذ القرن الثاني الهجري/الثامن الميلادي وزادت بصورة تدريجية ، وأولى هذه الهجرات هي هجرة عمانية من قبيلة الأزد بقيادة سليمان وسعيد من بني

الجلندي . وكانت أسرة الجلندي قد سيطرت على عمان حتى نهاية القرن الثاني الهجري/الثامن الميلادي^(٥) ، وفي أيام حكم الاخوين سليمان وسعيد أصبحت عمان ملجأ لبعض العناصر المناهضة للحكم الاموي ، ولذلك قررت الخلافة الاموية على ايام عبدالمك بن مروان ، ارسال جيش الى عمان لاعادتها الى طاعة الدولة المركزية وقد نجح هذا الجيش الذي جهزه الحجاج بن يوسف الثقفي الوالي الاموي على العراق في مهمته عام ٧٥هـ/٦٩٥م ، وانهزم آل الجلندي^(٦) . وقد لجأ الزعيمان سليمان وسعيد وجموع كبيرة من الأزد الى شرق افريقيا . وفي هذا يقول سرحان بن سعيد الازكوي : لما شعر سليمان وسعيد بالعجز أمام جيش الحجاج حملا ذراريهما وسودهما ومن خرج معهما من قومهما ولحقا ببلد من بلدان الزنج حتى ماتا هناك^(٧) . وليس معروفا بصفة أكيدة مكان استيطان بني الجلندي في شرق افريقيا ويفترض انهم أقاموا في جزيرة باتا (احدى جزر اربيل لامو)^(٨) .

وتعاقبت الهجرات من الخليج العربي الى شرق افريقيا بعد ذلك ، ففي نهاية القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي وصلت هجرة عربية من منطقة الاحساء ، وكانت هذه الهجرة بزعامة قبيلة الحارث العربية بقيادة سبعة أخوة

أيام النبهانيين انتعشت حركة التجارة بين الخليج العربي وشرق أفريقيا . استمرت سلطة النبهانيين العمانيين في الساحل الافريقي الشرقي الى ان انتهى بهم الامر ، وبعد مراحل طويلة من القوة والضعف ، بالخضوع الى السلطة العربية في زنجبار خلال النصف الاول من القرن التاسع عشر الميلادي .^(١٢)

ومن الجدير بالاشارة ان هجرات عرب الخليج واستقرارهم في شرق افريقيا لم ينقطع ابدا ،^(١٣) اذ شجعت الدوافع التي أشرنا اليها على توثيق الصلات بين الخليج وشرق افريقيا ومن المؤكد ان هذه الروابط والصلات العميقة بين الخليج والشرق الافريقي وتنوعها قد حفزت الكتاب العرب ، وفي طليعتهم البلدانيون ، على الكتابة عنها والكشف عن بعض جوانبها . وستكون الصفحات التالية محاولة لدراسة أهم مدونات البلدانين العرب لتبيان أهمية هذه المصادر وامكانية مساهمتها في التعرف على العلاقات التجارية بين الخليج العربي وشرق افريقيا .

البلدانيون العرب وشرق افريقيا

تعد كتب البلدانين العرب من المصادر المهمة عن صلة الخليج العربي بشرق افريقيا ، ومازالت هذه المصادر بحاجة ماسة الى دراسة شاملة لتبيان أهميتها وامكانية

بعد اختلافهم مع حاكم الاحساء . وقد هبط بنو الحارث بسفنهم الثلاث في ساحل بنادر في افريقيا الشرقية ، وعملوا على تدعيم سيطرتهم في المنطقة حيث أسسوا مدينة مقاديشو ، وكذلك مدينة براوه في الساحل الافريقي الشرقي^(٩) . وقد خضع الساحل الافريقي الشرقي ولدة قرنين من الزمان لمشيخة مقاديشو التي أسسها بنو الحارث .^(١٠)

في بداية القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي ، وصلت الى ساحل افريقيا الشرقي هجرة كبيرة من عمان تزعمها سليمان بن سليمان بن مظفر النبهاني ، وكان النبهانيون حكام عمان قد رحلوا الى مدينة باتا في الساحل الشرقي لافريقيا بعد انهيار دولتهم على يد اليعاربة عام ٦٠١هـ/١٢٠٣م . وقد استقبل النبهانيون استقبالا طيبا في باتا من قبل سكانها ، الذين كان معظمهم من عرب الخليج ، وتزوج سليمان النبهاني من ابنة حاكم المدينة المدعو اسحق ، وبعد اتمام الزواج تنازل اسحق عن الحكم لصهره سليمان الذي اصبح أول حكام الاسرة النبهانية في شرق افريقيا .^(١١) وعندئذ أصبحت باتا مركزا للسلطة النبهانية في ساحل افريقيا الشرقي وغدت أقوى سلطة في الساحل في القرن الثامن الهجري/الرابع عشر الميلادي ، حيث استطاعت ان تمتد سيطرتها على طول الساحل ، وعلى

مساهمتها في هذا الموضوع .

فبعد النجاح السياسي والحربي الذي ظفرت به الدولة العربية الاسلامية في القرن الثاني الهجري/ الثامن الميلادي ، تحفز رجالاتها الى اقتحام ميادين المعرفة المتنوعة وكان في مقدمتها نشأة علم البلدان (وهو المعروف في المصطلح الحديث بالجغرافية الوصفية) ، وذلك لان الدولة العربية الاسلامية بعد ان أصبحت قوة عالمية وامتدت رقعتها الى مسافات واسعة كانت بحاجة الى هذا العلم كأداة للتعرف على أراضيها وحدودها وللحصول على معلومات دقيقة عن الاقطار المتاخمة لها . كما ان التجارة المزدهرة في الدولة العربية الاسلامية كانت تريد من هذا العلم ان يكون لها هاديا ومرشدا في دولة مترامية الاطراف واسعة الارحاء مختلفة الشعوب والاجناس والألسنة ، وكان التجار يريدون معرفة السبل والمسالك وماذا يعطون وماذا يأخذون ، ولقد وجدوا في هذا العلم بغيتهم ، فأقبل عليه رجال الدولة والتجار يطلبون أصحابه ، فظفر بتأييد أتاح له ان يتطور تطورا سريعا ، حتى أصبح في اوائل القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي علما كامل المعالم والأسس ، ولا سيما ان هذا العلم قد تيسر له رجال علماء أفذاذ ، جاب الكثير منهم الاقطار وتحملوا المشاق ، فتعرفوا على المسالك والطرق والناس ، ووقفوا على طبيعة

البلاد التي زاروها وعرفوا أحوالها ، ودونوا ما رأوا وما سمعوا ، حريصين على تبيان الحقيقة قدر الامكان فكانت كتاباتهم مصادر يهتدى بها كل باحث .

لقد استهوى شرق افريقيا والخليج العربي البلدانانيين العرب (كما استهوى التجار ، وقد وصل الينا اخبار الكثيرين من هؤلاء مدونة بشكل يتيح لنا تقصي اخبار صلات الخليج بشرق افريقيا ولا سيما التجارية منها . ولا بد لنا من الاشارة الى ان المعلومات التي جاءتنا في هذه المدونات وبخاصة ما يتعلق منها بشرق افريقيا ، غير وافية بالحاجة . كما ان بعضها كانت تخالطه الاسطورة أو الخيال ، لكن هذا لا ينقص من قيمتها في كونها مصدرنا الوحيد في الكتابة في هذا المجال ، وامكانية استخلاص الكثير من الحقائق منها . ولعل عذر اصحاب هذه المصنفات ، ولا سيما الاوائل منهم ، ان شرق افريقيا يعد مناطق متطرفة عن قلب العالم الاسلامي فلم يحظ بشيء كثير من اهتمامهم .^(١٤)

لا يقدم لنا البلدانانيون الاوائل الا معلومات مقتضبة جدا عن شرق افريقيا ، وعلى الرغم من ان المنطقة الاخيرة تقع ضمن دائرة النشاط التجاري للدولة العربية الاسلامية في المحيط الهندي ، الا انها بالنسبة لهم كانت تقع خارج نطاق اهتمامهم وان مجال حصولهم على المعلومات

شابه ذلك في المحيط الهندي . وإلى جانب ذلك فإنها تحوي معلومات قيمة عن السواحل الشرقية لأفريقيا ، إذ أنها تصف بلاد الزنج وملوكها وبعض الخصائص الاجتماعية للزنج ، والأهم من ذلك كله الإشارة إلى أن سكان هذه البلاد من الزنوج يعرفون العرب ولهم هبة عظيمة في قلوبهم^(١٦) ، ولعل هذه المعرفة نتيجة وصول التجار العرب إلى مناطقهم .

أما المدونات الرئيسية التي تعيننا في فهم علاقات الخليج العربي بشرق أفريقيا - وفي مقدمتها العلاقات التجارية - فقد جاءت في القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي وأهمها مؤلفات المسعودي . وقبل أن نتكلم عن أهمية معلومات المسعودي يجب أن نتساءل عن سبب غزارة المعلومات التي دونها البلدانون العرب كما ونوعاً في القرن المذكور ، وللإجابة على هذا التساؤل لابد من الإشارة إلى أن النصف الثاني من القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي ، شهد اضطرابات في بلاد الصين فكان ذلك بداية لضعف التجارة مع المشرق الإسلامي ، إذ لم تعد المواصلات البحرية تجري بانتظام بين الخليج والشرق في القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي^(١٧) وقد مهد هذا الأمر لانتعاش التجارة وانتظامها بين الخليج وأفريقيا الشرقية ، ابتداءً من القرن

الخاصة بها كان أقل مما هو عليه بالنسبة لمناطق أخرى ، ويمكن أن يقرن ذلك بقلّة النشاط التجاري بين الخليج وشرق أفريقيا في القرون الإسلامية الأولى إذا قورن بالنشاط التجاري للعرب المسلمين مع الشرق الأقصى . وعلى أية حال ، فإن الإشارات الأولى التي وصلتنا عن شرق أفريقيا تشير إليها إشارة عامة ببلاد الزنج^(١٨) .

ومن بين كتب البلدانين الأولى التي وصلتنا ، رحلة قام بها تاجر يدعى سليمان في القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي . وقد قام سليمان برحلاته في الخليج العربي قاصداً الهند والصين في فترة بلغ فيها النشاط التجاري في الدولة العربية الإسلامية قمته ولا سيما مع الشرق الأقصى . أما فيما يتعلق بطبيعة الأسفار التي قام بها سليمان واهدافها فلا نكاد نعرف عنها إلا اليسير جداً . وتتألف رحلة سليمان التاجر من قسمين : الأول كتب حوالي عام ٢٧٣هـ/٨٥١م من قبل مؤلف مجهول . أما القسم الثاني فقد حرره شخص من سيراغ اسمه أبو زيد حسن تراءى له أن يتم رحلة سليمان في بداية القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي . والذي يهمنا في هذه الرحلة ، وعلى الرغم من طبيعتها القصصية ، أنها تحوي معلومات عن الرياح والطقس والمخاطر البحرية ومناطق الوقوف وما

١٠هـ/ ١٠م^(١٨) وفضلا عن ذلك فقد انتقل النشاط التجاري للدولة العربية وثقله في القرن التالي من الشرق الى البحر الاحمر كما سنشير الى ذلك .

يحتل المسعودي المكانة الاولى بين البلدانين العرب في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي ، ولا سيما انه جمع أكثر ما كتبه عن طريق المشاهدة والاختبار والاسفار^(١٩) وعلى الرغم مما يؤخذ عليه ، من قلة معلوماته عن شرق افريقيا ، ولا سيما ان زمن وصول المسعودي الى تلك المناطق كان عند تأسيس المدن والامارات العربية الاسلامية ، فإنه يورد في كتابه «مروج الذهب ومعادن الجوهر» معلومات تعتبر مهمة وتشكل لنا البدايات الاولى والاصلية لدراسة العلاقات العربية الافريقية ، ولا سيما التجارية منها بين الخليج وشرق افريقيا . وعلى هذا الاساس اعتبر بعض الباحثين المختصين بتاريخ شرق افريقيا كتاب المسعودي أحسن مصدر عن هذه المنطقة^(٢٠) فقد رحل المسعودي مع البحارة من عمان وسيراف عدة مرات ، وأقام في ساحل افريقيا الشرقي زمنا ، وحاول ان يتخطى الساحل الى الداخل ولكنه لم يصل الى أبعاد كثيرة^(٢١).

ويعد وصف المسعودي لبلاد الزنج من الاعمال الاصلية بصورة عامة ، ولا سيما انه اعتمد في معلوماته على ملاحظاته الشخصية ، وعلى مصادر مختلفة مكتوبة وشفهية ، أخذها في

الغالب من تقارير رحالة مختلفين لم يذكر اسماءهم ، ومن أصحاب السفن المحجرين بين الخليج وشرق افريقيا^(٢٢).

ومعلومات المسعودي عن بلاد الزنج تشير الى أصل الزنج وأماكن استقرارهم ، فضلا عن وصفه لنظمهم الاجتماعية من طرز اللباس والمأكّل . كما يذكر منتجات الشرق الافريقي المتنوعة والتي جذبت السفن الخليجية الى شرق افريقيا . كما اعطى المسعودي تقريراً مهماً عن طبيعة الرحلة التجارية بين الخليج وشرق افريقيا ، ولا سيما فيما يتعلق بالطريق التجاري في مراحله ومخاطره والمدن التي تبدأ السفن بالانطلاق منها أو الارساء فيها . كل هذه المعلومات ، على الرغم من قلتها وسطحيتها في أحيان كثيرة واختلاطها بالاساطير ، فإنها تحتل أهمية كبرى في قضية العلاقات التجارية بين الخليج وشرق افريقيا .

ظل القرن ١٠هـ/ ١٠م يمدنا بمعلومات كثيرة عن موضوع التجارة بين العرب وشرق افريقيا . ويتضح لنا ذلك بصورة جلية في سلسلة المصنفات التي تعكس طراز «المسالك والممالك» التي ركزت على وصف العالم الاسلامي . وتبدأ هذه السلسلة بالاصطخري الذي عاش في النصف الاول من القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي ، والذي لا نجد في كتابه «المسالك والممالك» أية

لقد خلف لنا ابوعبيد البكري الذي كان يعيش في الاندلس في منتصف القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي عددا من المؤلفات من بينها كتابه «المسالك والممالك» الذي يعد مصدرا هاما في تاريخ افريقيا . ونحن لا نعرف ان البكري قد زار شرق افريقيا ، ولكن الذي نعرفه انه جمع معلوماته عن طريق التجار والرحالة الذين التقى بهم في الاندلس ، فضلا عن المدونات والمؤلفات العربية الكثيرة التي كانت تحت تصرفه في مدينة قرطبة ، والتي أفناها دراسة وتحليلا . أما معلوماته عن شرق افريقيا فهي قليلة ومقتضبة اذا قورنت بمعلوماته عن غرب افريقيا ، ولعل السبب يعود في قلة اهتمام التجار والرحالة الاندلسيين بمناطق شرق افريقيا لبعدهم عنها . لقد انحصرت معلومات البكري عن افريقيا الشرقية في وصفه لحدود هذه البلاد وذكر سكانها الزوج من حيث أصولهم وتواجدهم في بلاد الزنج واسماء ملوكهم ، وهو ينقل هذه المعلومات عن الذين سبقوه من الكتاب ولا سيما المسعودي^(٢٥) كما يتطرق الى ذكر منتجات بلاد الزنج ولا سيما التجارية منها والتي تحمل الى الخليج العربي والشرق الاقصى^(٢٦) وهي معلومات طريفة ومهمة لموضوع بحثنا .

أما المجموعة التالية من المعلومات عن افريقيا الشرقية والنشاط التجاري

معلومات عن شرق افريقيا . أما ابن حوقل فقد اهتم بالكتابة عن افريقيا ، واذا تركنا قضايا التشابه العديدة بينه وبين الاصطخري ، فإننا نجد في كتابه «صورة الارض» الذي يمثل رحلته في القرن ١٠هـ/ ١٠م ، الكثير من المعلومات عن القسم الشمالي من شرق افريقيا لا سيما مناطق الحبشة والنوبة ، أما القسم الجنوبي من المنطقة فلم يحظ منه الا بإشارات قليلة جدا ، منها غنى بلاد الزنج بمعدن التبر ، وتجاريتها مع الشعوب الاخرى ، ولعل عذره في عدم اهتمامه بالكتابة عن بلاد الزنج ، هو كونها من المناطق الواقعة خارج حدود الدولة العربية الاسلامية التي كرس لها كتابه .^(٢٣)

أما المقدسي الذي يعد آخر بلداني القرن ١٠هـ/ ١٠م ، فإنه قد رسم خطة مؤلفه على الفكرة السابقة في التركيز على وصف بلاد الاسلام ، ولذا نجد ان معلوماته نادرة عن شرق افريقيا . ازدادت المعلومات عن شرق افريقيا في القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي ، وتشكل هذه المعلومات اضافة جديدة ومهمة ولا سيما في موضوع التجارة في شرق افريقيا ، والتي نشطت في الحقبة القريبية من ذلك القرن ، بعد ان تحولت حركة الملاحة من طريق الخليج العربي الى البحر الاحمر بسبب الاضطرابات السياسية في منطقة الخليج .^(٢٤)

للعرب فيها ، فقد ارتبطت بالادريسي في القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي . ففي كتابه «نزهة المشتاق في اختراق الآفاق» نجد تأكيدا للعلاقات التجارية التي كانت قائمة بين العرب وشرق افريقيا والتي أولاها كل اهتمامه . وعلى الرغم من ان الادريسي لم يرحل الى شرق افريقيا الا انه من المؤكد قد سمع وقرأ كثيرا عنها ، ولا سيما انه كانت تحت يده مادة كثيرة ، ولذا فقد جاء وصفه لهذه المنطقة وعلاقاتها التجارية غاية في الاهمية . فهو أول من تحدث عن مدن الساحل الافريقي الشرقي وجزره وعن النشاط التجاري الذي تتميز به وهذا ما لم يذكره من سبقه ، ولعل ذلك يعود لان الفترة التي ألف الادريسي فيها كتابه كانت فترة ازدهار كبيرة لتجارة العرب مع شرق افريقيا .^(٢٧) ويولي الادريسي اهتماما خاصا بتجارة الحديد السائدة في مدن شرق افريقيا^(٢٨) ، في حين لا نجد لديه معلومات مهمة عن تجارة الذهب والعاج المشهورة . ونحن لا نعرف من أين جاء اهتمامه بتجارة الحديد ، هل كان قد انتبه الى ان شهرة تجارة الذهب والعاج في شرق افريقيا ، تدعوه الى ان يثير انتباه التجار والرحالة الى تجارة معدن مهم ومتوافر في شرق افريقيا وهو الحديد ؟ ويبدو ان معرفته عن شرق افريقيا حتى مومباسا كانت واضحة جدا ، ولكن ابتداء من هناك فإن معلوماته عن أرض الزنج تصبح

غامضة ، ومن الواضح أن هذا الأمر كان نتيجة للمعلومات المشوشة التي كانت لديه^(٢٩) فمثلا يذكر ان مدينة براوة لاتزال وثنية^(٣٠) ، لكن المعروف ان الاسلام قد دخلها منذ زمن سابق ، كما انه لم يتعرض لمدينة مقاديشو التي كانت تفرض سيطرتها على كثير من مدن الساحل على أيامه وكانت تشهد نهضة تجارية واسعة ، في حين انه ذكر مدنا كانت تابعة لها مثل براوة .

وفي اواخر القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي عاش بلداني آخر وهو ياقوت الحموي ، الذي عرف بأسفاره التجارية العديدة ، وقد اعتبر البعض مصنفه «معجم البلدان» من أفضل الكتب الجغرافية في العصر الوسيط ، فهو يبحث في هذا المعجم أصل الموقع الجغرافي ونشأته والظروف التي احاطت بذلك ومن سكنه من العلماء والفقهاء ، والدور التاريخي الذي لعبه ، وبذلك فإن مادة ياقوت متنوعة للغاية^(٣١) وقد أفادته الأسفار التي قام بها في زيادة معرفته بالمسالك التجارية المطروقة في عهده ومنتجات البلاد التي زارها . وعلى الرغم من قيمة المعلومات التي دونها ياقوت في معجمه الا ان المادة التي احتواها عن شرق افريقيا مقتضبة وقليلة جدا ، وتكاد تكون نادرة في علاقات الخليج التجارية بالشرق الافريقي ، فهو يذكر مثلا نشاط مدينة مقاديشو التجاري

إضطرابات الصين في أواخر القرن زاد من النشاط التجاري العربي مع

فاطمة» كان يعيش على أغلب الظن في القرن ٧ هـ/١٣م وقد أبحر هذا الرجل في سواحل افريقيا الشرقية وبلغ سفالة وجزيرة مدغشقر. (٣٣)

أما معلومات ابن سعيد عن بلاد الرنج فتتصف بالجدية والاصالة وهي التي سمحت له أن يحدد بكثير من الدقة مواقع المدن والجبال ومجاري الانهار في المنطقة ، كما ان اعتماده على أسفار ابن فاطمة قد اتاح له مادة أصلية لم يعرفها من سبقه (ولا سيما عن جزيرة مدغشقر) (٣٤) وهذه المادة تعيننا كثيرا في رسم الطريق الذي كانت تسلكه السفن التجارية في شرق افريقيا .

أما القرن الثامن الهجري/الرابع عشر الميلادي فإنه حافل أيضا في مجال المعرفة العربية بشرق افريقيا ، ولعل كتاب ابن بطوطة «تحفة النظار وغرائب الامصار وعجائب الاسفار» ، هو اهم ما يسترعى الانتباه . فقد كان ابن بطوطة آخر رحالة عربي كبير جاب العالم الاسلامي باجمعه .

وارتحال التجار اليها لجلب المتاع منها ولا سيما الخشب والعاج متوقفا عند هذا الحد (٣٥) كما يهمل ذكر الكثير من مدن شرق افريقيا التي كان لها نشاط تجاري متميز في ايامه .

في القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي بلغ النشاط التجاري في الدولة العربية الاسلامية أوجه حيث كانت السفن التجارية في ذلك القرن تجوب البلاد في كل اتجاه وتصل الى كل الاسواق النائية ، وعلى رأسها اسواق شرق افريقيا الغنية بالذهب والعاج والحديد ، مسترشدة بخرائط مفصلة حوتها كتب الجغرافية العربية ، وفي هذه الحقبة بالذات يطالعنا ابن سعيد بكتابة «الجغرافية» . وعلى الرغم من انه نقل الكثير من معلوماته عن سبقه الا انه جاء بالشئ الجديد جدا فيما يخص سواحل افريقيا الشرقية ، التي لم يزرها بنفسه على حد اعترافه ، لكنه استقى مادتها من ملاح عربي لا نعرف عنه سوى ان اسمه «ابن

التاسع الميلادي

الساحل الأفريقي

الذين يمارسون عبره نشاطاتهم بين منطقتي الخليج وشرق افريقيا . كما احتوت الرحلة على معلومات مهمة عن النشاط التجاري في مدن الساحل الافريقي الشرقي ، بل ونتائج هذا الاتصال الطويل الذي أثمرت بصورة واضحة ايام ابن بطوطة ، حيث يسجل لنا استخدام اللغة العربية كلغة رسمية في مدينة مقاديشو ، واتباع نظم الحكم ذات المنحى العربي ووجود المدارس الفقهية في مجال الدين ، وكذلك يسجل لنا التأثير العربي ولا سيما لسكان الخليج في طرز البناء في شرق افريقيا^(٢٧) ، وفي هذا كله تأكيد على صلات الخليج العربي بشرق افريقيا .

على ان مما يؤخذ على رحلة ابن بطوطة انها ليست من تصنيف ابن بطوطة نفسه بل تمثل صياغة أدبية لروايته كتبها الأديب الغرناطي محمد بن جزى الكلبي بأمر من الحاكم المريني ابن عنان (٧٤٩ - ٧٥٩هـ / ١٣٤٨ - ١٣٥٨م) الذي شهد عهده وعهد سلفه ابي الحسن ازدهارا للثقافة وتشجيعاً للأدب في بلاد المغرب .

وعلى أية حال ، فقد جعلنا من رحلة ابن بطوطة في القرن الثامن الهجري/الرابع عشر الميلادي خاتمة للمدونات التي استقينها منها مادة هذا البحث ، بإعتبار انه لم تجر رحلة عربية على غرارها فيما بعد .

ويقول عنه كراتشكوفسكي^(٣٥) انه «مهما اختلفت الآراء فيه فإنه من المستحيل انكار انه أخرج جغرافي عالمي من الناحية العلمية . ولعل ذلك يرجع الى كونه قد حصل على معلوماته عن طريق اسفاره الى مختلف البلاد وانه لم ينقلها عن غيره . وكان ابن بطوطة قد عزم على السفر لتأدية فريضة الحج ، ولكن عصا الترحال أخذته الى مختلف الاقطار ولم يعد الى مدينة طنجة الا بعد أكثر من ربع قرن ، والذي يهمننا هو زيارته الى شرق افريقيا والتي تمت عام ٧٣٢هـ / ١٣٣١م ، حيث تحول من عدن الى زيلع (في الصومال) متجها الى مدن ساحل الزنج مثل مقاديشو (في الصومال) ومومباسا (في كينيا) وكلوة (في تانزانيا) . ثم عاد الى اليمن ومنها الى عمان ودخل الخليج العربي ووصل الى البحرين والقطيف^(٣٦) . هذه المراحل التي قطعها ابن بطوطة بين شرق افريقيا والخليج مهمة جدا لموضوع البحث ، ذلك لانها تدل على الطريق المعروف آنذاك عند التجار

حركة التجارة بين الخليج العربي وشرق افريقيا

الطريق التجاري بين الخليج وشرق افريقيا

سوف يتم تحديد معالم حركة التجارة بين الخليج العربي وشرق افريقيا طبقا لما ورد من معلومات في مدونات البلدانين العرب ، وتشمل اولى معلوماتهم وصفا لمناطق شرق افريقيا وسكانها وتعتبر هذه المعلومات بيانات مهمة للتجار وربابنة السفن التجارية فهي تعرفهم على تلك المنطقة وبالتالي تسهل عليهم الوصول اليها ، كما انها تقوم دليلا على معرفة التجار العرب بشرق افريقيا ولا سيما اذا اخذنا في الاعتبار ان التجار كانوا أهم النابيع التي استقى منها البلدانين العرب معلوماتهم .

ومن المؤكد ان التعرف على الزنوج واماكن استقرارهم واقسام بلادهم مهم جدا في حركة التجارة بين العرب وسكان شرق افريقيا ، فقد اطلق البلدانين العرب «بحر الزنج» على الجانب الغربي من المحيط الهندي الذي يطل عليه الشاطئ الشرقي الافريقي ، كما سمي الشاطئ المطل على هذا البحر باسم «بلاد الزنج»^(٣٨) وحددوا الاقليم الجغرافي الذي تقع فيه بلاد الزنج ، وقسموه الى اربعة اقسام كل له صفات خاصة . ونجد ان هذا التقسيم واضح حتى في اشارات

المسعودي الغامضة عن الساحل ، والتي اصبحت أكثر وضوحا عند الادريسي ، ولذلك سيكون اعتمادنا عليهما بالدرجة الاولى في وصف اقسام شرق افريقيا ، مؤكدين على اهميتها بالنسبة لحركة التجارة .

وهذه الاقسام هي :

* **بربرا** : وهي كما يقول المسعودي «وله» البحر الحبشي» خليج متصل بأرض الحبشة يمتد الى ناحية بربرى من بلاد الزنج والحبشة ويسمى الخليج البربري ، طوله خمسمائة ميل ، وعرض طرفيه مائة ميل .. وأهل المراكب من العمانيين يقطعون هذا الخليج الى جزيرة قنبلو في بحر الزنج .. وهؤلاء القوم الذين يركبون هذا البحر من أهل عمان عرب من الأزد»^(٣٩) كما يضيف قائلا : «ان أرباب المراكب العمانيين يعرفون هذا البحر ويعرفون أمواجه العظيمة»^(٤٠)

ويبدو ان البلدانين العرب بعد المسعودي حاولوا تحديد اخرحد بلاد بربرا ، فابن سعيد يقول : ان نيل مقديشو هو آخر بلاد بربرة ، وأول بلاد الزنج»^(٤١) ، لكنه لم يحدد امتداد منطقة بربرا شمالا . أما ياقوت فإن فكرته عن بربرا واضحة فهو يقول انها تقع بين الحبشة وارض الزنج .^(٤٢) وبذلك يمكن القول ان بلاد بربرا تؤلف الآن السواحل الشمالية والشرقية من الصومال (وتعرف بساحل بنادر) وان التجار العرب في الخليج - ولا سيما

العمانيين - كانوا يمارسون التجارة مع هذه المنطقة .

* بلاد الزنج : وتمتد من مقاديشو التي اعتبرت اول بلاد الزنج ^(٤٣) الى سفالة ^(٤٤) يقول المسعودي (ومساكن الزنج من حد الخليج المتشعب في اعلى النيل الى بلاد سفالة والواق واق ، ومقدار مسافة مساكنهم واتصال مقاطنهم في الطول والعرض نحو سبعمائة فرسخ أودية وجبال ورمال) ^(٤٥) كما يضيف المسعودي : «ان الفيلة كثيرة في ارض الزنج ومنها يتجهز التجار بالعاج الذي يحمل الى مناطق الخليج والشرق الأقصى» ^(٤٦) أما الادريسي فيفصل لنا في مدن بلاد الزنج ، فيذكر ملندة بأنها مدينة على الساحل ، «وهي مدينة كبيرة وأهلها يحترفون الصيد برا وبحرا فيصيدون في البر النمور والذئاب ويصيدون في البحر ضروبا من الحيتان . وعندهم معدن حديد يحفرونه ويعملونه وهو جل مكسبهم وتجارتهم» ^(٤٧) ان لهذا النص قيمته حيث يشير الى ان حركة التجارة في هذه المدينة كانت تقوم على تجارة الحديد . كما يشير الى احتراف اهل مدينة مومباسا لاستخراج الحديد ويقول : «انها مدينة على البحر وعلى ضفة خور كبير تدخله المراكب مسير يومين وليس عليه شيئا من العمارة وفي هذه المدينة سكنى ملك الزنج واجناده» ^(٤٨) أما آخر بلاد الزنج فيحددها الادريسي بما يلي : «ومن

منبسة الى قرية الباييس ستة ايام في البر والبحر . وقرية الباييس قرية جامعة أهلة بالناس .. وهي آخر عمالة الزنج ويتصل بها ارض سفالة» ^(٤٩)

* سفالة : ويشار الى بلاد سفالة باسم «سفالة الزنج» ايضا ^(٥٠) ، كما سميت بأرض الذهب أو التبر ^(٥١) وكانت مقصد اصحاب المراكب الخليجية ^(٥٢) من أجل الحصول على الذهب . ويشير البلدانون العرب الى بعض مدن سفالة مثل بتينة ^(٥٣) ، وحيونة التي كانت مقر ملك سفالة ، ويبدو انها كانت مركزا تجاريا حيث يتاجر أهلها بالذهب والفضة وهي آخر عمائر بلاد سفالة ^(٥٤)

* الواق واق : تكمل هذه المنطقة صورة بلاد الزنج ، ومع هذا فقد وضعت بشكل غامض حيث قيل بان اراضيها تمتد الى جنوب منطقة سفالة . وفي الوقت الذي نجد فيه المسعودي لا يذكر أي شيء عن الواق واق ، فإن الادريسي بعده بقرنين يشير الى وجود «مدينتين حقيرتين (في واق واق) وسكانهما قليل لضيق عيشهما وتكدر رزقهما وليس بأرض هؤلاء القوم شيء من الذهب ولا يخرج من عندهم تجارة ولا مراكب ولا دواب» ^(٥٥) ويدل هذا على ان هذه المنطقة لم تكن محط أنظار التجار العرب . ولم تسهم في حركة النشاط التجاري في شرق افريقيا بسبب عدم توفر المنتجات التي ينشدها التجار . وعلى أية حال ، فإن منطقة الشرق

اتجاء الرياح الموسمية .. سراحتكم عرب الخليج حتى القرن الأول الميلادي

الصلة القوية بين المنطقتين ولا سيما
الصلة التجارية .

ومن الجدير بالذكر ان كتب
البلدانيين العرب الاوائل لا تحتوي
على تفاصيل لجميع مراحل الطريق
الذي يصل بين الخليج وشرق
افريقيا ، فبينما تفصل هذه الكتب
مراحل السفر في مياه الخليج العربي
والبحر العربي ، فتصف موانئهما
وظروف الملاحة فيهما ، نجدها لا تذكر
أي معلومات عن مراحل السير في بحر
الزنج ، وانما تكتفي بالاشارة الى
وجود طريق بحري ما بين الخليج يمر
بعمان وعدن الى بلاد الزنج^(٥٦) ويمكن
ان يعزى ذلك الى قلة النشاط التجاري
بين الخليج وشرق افريقيا في القرون
الاسلامية الاولى اذا ما قورن بحركة
التجارة بين الخليج والشرق الاقصى
حيث كان الاخير محط اهتمام الدولة
العربية الاسلامية ايام العباسيين .
فقد سجلت تجارة الخليج ما بين

الافريقي ، التي تشمل ما نسميه
اليوم بالصومال وكينيا وتنزانيا
وموزامبيق ، قد شهدت نشاطا تجاريا
عربيا واسعا ، وكان هذا النشاط
الركيزة الرئيسية في قيام العلاقات
العربية - الافريقية في العصر
الوسيظ .

بعد هذه الصورة التفصيلية
لاجزاء الشرق الافريقي كما عكستها
كتب البلدانيين العرب ، نحاول رسم
الطريق التجاري الذي يربط منطقة
الخليج العربي بشرق افريقيا .

أما الطريق التجاري الذي تقطعه
السفن ما بين الخليج العربي وشرق
افريقيا ذهابا وايابا ، فنستطيع ان
نتتبع مراحل السير فيه ومحطات
توقف السفن فيه والمخاطر التي
تتعرض لها ، في جميع مدونات
البلدانيين العرب . وعناية هؤلاء
واهتمامهم بوصف الطريق بين الخليج
وشرق افريقيا تقوم دليلا على وجود

القرن الثاني الى القرن الخامس الهجري/ الثامن - الحادي عشر الميلاديين تطورا كبيرا مع الشرق الاقصى حيث جذبت منتجاته التجار العرب . ولكن في القرن ١١هـ / ١١م بدأت القلاقل والاضطرابات السياسية في الخليج تؤثر على هذه التجارة فاضعفتها واخيرا تحولت نشاطات التجار العرب الى البحر الاحمر وشواطئ بلاد الزنج بعد انهيار الدولة العباسية.^(٥٧) وبدأت تجارة الخليج مع الشرق الاقصى بالضعف ، كما أشار المسعودي الى ذلك بالتفصيل^(٥٨)، منذ القرن ١٠هـ / ١٠م بعد الاضطرابات التي حلت بالصين . وتأثرت هذه التجارة ايضا ، كما يشير ابن حوقل ، بالاضطراب السياسي والفوضى التي وقعت في البحرين (بسبب سيطرة القرامطة) ، مما شجع القبائل البدوية على ان تفرض سيطرتها على الطرق التجارية التي لم تعد آمنة.^(٥٩)

ومنذ القرن الرابع الهجري العاشر الميلادي نجد تفاصيل دقيقة عن الطريق التجاري الذي يربط الخليج العربي بشرق افريقيا، اذ كانت الرحلة الى شرق افريقيا تبدأ من منطقة البصرة (في الأبله) ثم الى القطيف (في الاحساء)، ثم الى البحرين وقطر ثم الى بلاد عمان فبلاد المهرة ثم الى ارض الشحر (حزموت) حتى تصل المراكب الى عدن ومن هناك اما ان تذهب السفن شمالا الى سواحل

جزيرة العرب الغربية او شواطئ افريقيا المطلة على البحر الاحمر، أو ان تذهب جنوبا الى بحر الزنج حيث شواطئ افريقيا الشرقية^(٦٠) ولعل ما يورده البلدانون العرب ما يوضح ما ذهبنا اليه. فالمسعودي يقول : «ان نهاية الخليج الشمالية هي ارض البصرة بعدها «بلاد البحرين وقطر وشط بني جذيمة وبلاد عمان وارض مهرة الى رأس الجمجمة الى ارض الشحر والاحقاف وفيه جزائر كثيرة....»^(٦١) أما البكري فبعد ان يصف مراحل السير التي تبدأ من منطقة البصرة الى «قطيف والبحرين وعمان ثم يمر متخذاً الشمال على ساحل البحر حتى يأتي الى عدن.. وعدن منتهى العنق الذي يخرج من البحر، ثم ينعطف هذا العنق في عدن فيمضي منعطفاً على جزيرة العرب مستقبلاً الشمال فمن يمين الزاهب منه جزيرة العرب والى يساره بلاد السودان».^(٦٢) ويمكن ان نسمى هذه المرحلة الاولى من الطريق التجاري بين الخليج العربي وشرق أفريقيا، تتبعها المرحلة الثانية والتي تبدأ من منطقة الشحر بين عمان وعدن (في حزموت)، وتنتهي بسفالة الزنج آخر منطقة تصلها السفن العربية.^(٦٣)

تبدأ الرحلة كما ذكرنا من الشحر باتجاه جنوبي غربي مارة (برأس جورد فوي) الى جزيرة سوقطرة ومن هذه الجزيرة تبحر السفن الى أول مرفأ افريقي هو رأس حافوني (يعرف

اليوم برأس حافون على الساحل الصومالي)، ومنه جنوبا الى مقديشيو اول بلاد الزنج^(٦٤)، ثم الى المدن الساحلية الواحدة تلو الاخرى حيث تبحر السفن الى براوة ثم تدخل مدينتى باتا ولامو وبعدها تتجه المراكب جنوبا الى مالندي ومومباسا وهي من المراكز التجارية المهمة في الساحل. وحين تبحر المراكب من مومباسا تلتزم الطريق المحاذي للساحل الافريقي الى أن تتمكن من عبور قناة زنجبار، ثم تدخل جزيرة زنجبار، وقد تزور السفن قبل زنجبار جزيرة بمبا، وإلى الجنوب في زنجبار تتجه المراكب الى مدينة كلوة المركز التجاري المهم^(٦٥). وقد تسير بعض المراكب من مومباسا مباشرة باتجاه الجنوب حتى تصل الى آخر قرية في بلاد الزنج وهي الباييس، وبعدها تدخل الى أرض سفالة فتمر على أهم مدنها ومنها بتهنة، وحنطمة وندمة التي هي آخر قواعد بلاد سفالة. وقد تبحر السفن من بلاد سفالة الى جزر القمر^(٦٦). كما قد تزور بعض السفن جزيرة مدغشقر أيضا.

ولعل من الضروري هنا الاستشهاد ببعض ما كتبه البلدانيون العرب وهم يصفون لنا الطريق التجاري بين الخليج وشرق افريقيا توضيحا وتأكيدا للمراحل التى تقطعها السفن فى المرحلة الثانية من رحلتها فى الخليج الى شرق افريقيا. إذ يذكر ابن خرداذبة ان عدن هى مركز لتجميع

البضائع القادمة من الخليج - ولا سيما البصرة - والقادمة من بلاد الزنج والحبشة وغيرها. وبذلك تكون هذه اول اشارة - وان كانت مقتضبة وغير مباشرة - الى ابحار السفن بين عدن وشرق افريقيا عبر طريق معلوم^(٦٧).

اما المسعودى فقد كان من المؤكد على علم بالطريق البحرى بين الخليج وشرق افريقيا وان لم يورد تفاصيله. فقد تحدث عن رحلات تجار الخليج ولا سيما عرب عمان من الازد الى بلاد الزنج، وكان هو نفسه قد أبحر عدة مرات مع السفن الخليجية من عمان الى افريقيا الشرقية، حتى وصل الى جزيرة قنبلو، فهو يقول :

«اهل المراكب من العمانيين يقطعون هذا الخليج (خليج بربرى) الى جزيرة قنبلو فى بحر الزنج، وفى هذه المدينة مسلمون بين الكفار من الزنج، والعمانيون الذين ذكرنا من أرباب المراكب يزعمون أن هذا الخليج المعروف بالبربرى، وهم يعرفونه ببحر بربرى، وبلاد حفوني (حافون)، أكثر مساحة مما ذكرنا (قدرها المسعودى بطول خمسمائة ميل وعرض مائة ميل) موجه عظيم كالجبال الشواهد... وهؤلاء القوم الذين يركبون هذا البحر من أهل عمان عرب من الازد... وينتهى هؤلاء فى بحر الزنج الى جزيرة قنبلو على ما ذكرنا، وإلى بلاد سفالة والواق واق فى اقاصي ارض الزنج والاسافل فى بحرهم... وقد ركبت انا

هذا البحر من مدينة سنجار في بلاد عمان (وسنجانر قصبه بلاد عمان) مع جماعة من نواخذة السيرافيين وهم ارباب المراكب.. واخر مرة ركبت فيه سنة اربع وثلاثمائة من جزيرة قنبلو الى مدينة عمان...»^(٦٨) ويضيف المسعودي في مكان آخر واصفا قنبلو بقوله :

«أنها جزيرة عامرة فيها قوم من المسلمين الا أن لغتهم زنجية غلبوا على هذه الجزيرة... وذلك في مبدأ الدولة العباسية، ومنها الى عمان في البحر نحو من خمسمائة فرسخ على ما يقول البحريون حزرا منهم لذلك، لا عن طريق التحصيل والمساحة».^(٦٩)

ان اهتمام المسعودي بجزيرة قنبلو يرجع الى بقائه فيها لمدة، وهي اخر محطة وصلها في ترحاله في الشرق الافريقي، اما بلاد سفالة فلم يزرها بل أخذ اوصافها من اصحاب المراكب من عرب الخليج الذين يصلون اليها. وقد كانت جزيرة قنبلو وما تزال مجال نقاش بين الباحثين من اجل معرفتها بالضبط. ومع أن المسعودي أورد بعض التحديدات الجغرافية الخاصة بموقع هذه الجزيرة، لكنها لا تعيننا على وضع تحديد نهائي لها ولا سيما ان هناك جزرا متعددة في الساحل الافريقي الشرقي تنطبق عليها أوصاف المسعودي كلا أو جزءا.

لقد حاول ترمنكهام^(٧٠) عرض نصوص الجغرافيين العرب التي تصف جزيرة قنبلو وكل ما يتصل بها

مبتدئا بالمسعودي ثم ابن حوقل وبزرک بن شهريار والبيروني، وكذلك يورد معلومات الادريسي وياقوت وابن سعيد ؛ وبعد دراسته لهذه النصوص يتوصل الى الخلاصة التالية، حيث يقول : «كما هو واضح من الخرائط الخاصة باوائل الجغرافيين وروايات الرحالة الى شرق افريقيا، فان قنبلو من الممكن ان تكون مستقرا للقادمين الاجانب على جزيرة في ذلك الساحل [ساحل افريقيا الشرقي] كأن تكون بمبا او زنجبار او مافيا، وليست مدغشقر».^(٧١)

وهكذا نجد فيما دونه المسعودي تأكيدا واضحا على الصلة التجارية بين الخليج العربي وشرق أفريقيا. ولكن مما يستدعي الاسف أن المسعودي لم يفصل في مراحل الطريق الذي سار فيه فلم يذكر المدن والمراكز التجارية الساحلية التي اسسها العرب او التي وصلوا اليها في الشرق الافريقي منذ زمن بعيد قبل بدء المسعودي برحلاته الى تلك المنطقة، والتي كانت على ايامه محطات تجارية للسفن العربية القادمة في الخليج. ان هذه المعلومات المهمة الخاصة بالطريق التجاري الذي يربط بين الخليج وشرق افريقيا في مرحلته الثانية (اي شواطئ الشرق الافريقي) نجدها بصورة تفصيلية في مدونات البلدانين العرب الذين كتبوا بعد المسعودي، حيث يقدمون لنا وصفا للمدن الساحلية في افريقيا

الشرقية ونشاطها التجاري.

فالادريسي يذكر مدن الساحل الافريقي الشرقي بصورة متتالية، فكأنما يسير على الساحل وينتقل من مدينة الى أخرى محددا المسافات بينها، ثم يشير الى الجزر المقابلة للساحل مؤكدا في ذلك على النشاط التجاري لهذه المدن والجزر. فهو بعد أن يتكلم عن منطقة بربرة (بربرا) ينتقل الى ارض الزنج حيث يبدأ بوصف مدينة ملندة فيقول :

«مدينة ملندة في بلاد الزنج ثلاثة أيام في البحر بلياليها وملندة على ضفة البحر على خور ماء عذب وهي مدينة كبيرة... وعندهم معدن حديد يحتفرونه ويعملونه وهو جل مكسبهم وتجارتههم. ومن هذه المدينة الى ممبسه على الساحل مسافة يومين وهي مدينة صغيرة للزنج على البحر وعلى ضفة خور كبير تدخله المراكب مسير يومين.. ومن ممبسه الى قرية الباييس سعة البر ومجر أو نصف في البحر... وهي آخر عمالة الزنج وتتصل بها ارض سفالة».(٧٢).

ثم ينتقل بعد ذلك لوصف مناطق سفالة فيذكر مدنها بقوله : «فمنها (قرية الباييس) على الساحل الى مدينة تسمى تهنته ثمانية ايام في البر ومجر ونصف في البحر. وبلاد تهنته ايضا في سفالة».(٧٣) كما يذكر من مدن سفالة مدينتين حيث يقول : «حنطمة ودندمة وهي على ضفة البحر وهما صغيرتان وأهلهما في ذاتهم قلة وفي أنفسهم أذلة

وليس بأيديهم شيء يتصرفون به ويعيشون منه الا الحديد، وذلك ان في بلاد سفالة يوجد في جبالها معادن الحديد الكثير واهل جزاير الزايح وغيرهم من ساكني الجزائر المحيطة بهم يدخلون اليهم ويخرجون من عندهم الى سائر بلاد الهند وجزائره ويبيعونه بالثمن الجيد لان بلاد الهند اكثر تصرفهم وتجارتهم بالحديد.. وبين جنطمة ودندمة مجريان في البحر، ودندمة هذه آخر قواعد سفالة ويتصل بارض سفالة ثلاثة مدن احداها تسمى ميونة لاخليل عندهم وهذه المدينة على خور تدخله المراكب المسافرة اليها ومنها الى مدينة بوخة على الساحل... ومن مدينة بوخة الى مدينة جنطمة في البحر، وبها معادن التبر وفي بلاد سفالة أجمع يوجد التبر».(٧٤)

ان المعلومات التي أوردها الادريسي عن مدن الساحل الافريقي يؤكدنها ابن سعيد وابو الفدا اللذان ينقلان عنه في الغالب. فابن سعيد وابو الفدا يؤكدان لنا ان (خافوني) الجبل المشهور عند المسافرين في منطقة بربرا هو الذي تستقبله السفن بعد خروجها من جزيرة سوقطرة(٧٥). ثم يتكلم ابن سعيد عن مدينة مقاديشو اول بلاد الزنج مشيرا الى كونها «مدينة الاسلام المشهورة في ذلك الصقع المترددة الذكر على السن المسافرين»(٧٦). ثم يذكر ابن سعيد مدن الزنج المشهورة مثل ملندة

وممبسه (ممبسة) وكونهما مركزين لحط السفن، ثم ينتقل الى منطقة سفالة مشيرا الى مدينة بتينة «وهي على ذيل جوف عظيم يدخل في البحر»، ثم يتكلم عن عمائر السفاليين... واكثر معاشهم من الذهب والحديد ولباسهم جلود النمر». ثم ينتهي الى مدينة ليرانة التي يقول عنها «انها للمسلمين كمقدشو، واهلها مجتمعون في الاقطار، وهى بلد حط واغلاق». أما مدينة دغواطة «فهي اخر مدن سفالة واخر العمارة في البر المتصل بهذا البحر» (٧٧).

وبذلك تكون مدينة دغواطة آخر المدن التي تصلها سفن العرب المسلمين حيث نجد بعدها بلاد الواق واق التي لم تسهم بأى نشاط تجاري عربي، حيث يقول الادريسي في ذلك : «ويتصل بارض سفالة ارض الواق واق وبها مدينتان حقيرتان وسكانهما قليل لضيق عيشهما وتكرر رزقهما وليس بارض هؤلاء القوم شيء من الذهب ولا يخرج من عندهم تجارة ولا مراكب ولا دواب». (٧٨).

وهكذا تصل رحلة الخليج التجارية الى آخر بلاد سفالة لتعود بعدها محملة بمنتجات الشرق الافريقي الى الخليج العربي في الطريق الذى سلكته في ذهابها.

المنتجات الرئيسية المتبادلة بين الخليج وشرق افريقيا

تكشف مدونات البلدانين العرب أهمية شرق افريقيا كمصدر لا غنى

عنه لمعادن وثروات عدة دخلت في التجارة العالمية المعروفة انذاك، ومن الممكن القول أن من العوامل التي تحكم في الاتصال بين الخليج العربي وافريقيا الشرقية، المنتجات الافريقية التي دفعت التجار العرب للوصول الى سواحل افريقيا الشرقية وممارسة نشاطاتهم التجارية في تلك المنطقة ومبادلة بضائع افريقيا وسلعها مع البضائع التي يحملونها من الخليج والتي يرغب فيها سكان الشرق الافريقي.

يزودنا البلدانون بصورة عامة باسماء البضائع والسلع الداخلة في التجارة الغربية مع افريقيا الشرقية، حيث نجد من بينها الذهب والحديد والعاج والعنبر والاختشاب والجلود وما الى ذلك.

ويعد الذهب المادة المهمة التي كانت وما زالت اساسا لتهاافت الدول في الحصول عليها من اجل دعم مركزها الاقتصادي والسياسي معا. وقد ادرك التجار العرب - ومن بينهم تجار الخليج - أهمية شرق افريقيا كموطن لتوفر هذا المعدن الحيوي، فعملوا كل جهدهم في الحصول عليه وحمله الى مراكز الخلافة العربية الاسلامية. فالمسعودي يعطينا صورة مهمة عن هذه المادة واندفاع العمانيين للحصول عليها فيقول اثناء حديثه عن الزنوج وسكانهم في بلاد الزنج : «وتمتد مساكنهم الى بلاد سفالة، وهي أقاصي بلاد الزنج واليها تقصد مراكب

العمانيين والسيرافيين، وهي غاية مقاصدهم في أسافل بحر الزنج، وكذلك أقاصي بحر الزنج هو بلاد سفالة، وأقاصيه بلاد الواق واق، وهي أرض كثيرة الذهب كثيرة العجائب». (٧٩)

وبعد قرنين من الزمان يؤكد لنا الادريسي أهمية هذه المنطقة كمصدر لتجارة الذهب حيث يقول : «ومدينة دغوة آخر بلاد سفالة، وبهذه المدينة يوجد التبر مثلما يوجد في بلاد سفالة». (٨٠)

وعلى الرغم أن جميع نصوص البلدانين العرب تؤكد وجود الذهب في منطقة سفالة لا غيرها، فإن ابن بطوطة يشير الى ناحية مغايرة بقوله : «أن الذهب يجلب الى سفالة في منطقة يوفي. وان بين سفالة ويوفي في بلاد الليمين مسيرة شهر، ومن يوفي يؤتى بالتبر الى سفالة» (٨١). ولكننا للأسف الشديد لا نعرف شيئاً عن يوفي ابن بطوطة ولم يوضح هو نفسه اين تقع فهل هي منطقة تابعة لسفالة، ام أنها منطقة في داخل افريقيا الشرقية، ومنها يتم جلب الذهب الى سفالة وبهذا تكون سفالة بموجب هذا الافتراض الاخير مركز تجميع الذهب الوارد اليها من الداخل. ويفترض ترمينكهام (٨٢) ان الذهب يأتي من منطقة الواق واق الى سفالة، بيد أن هذا الافتراض لا يتفق مع نص الادريسي الصريح، الذي اشرنا اليه انفاً، والذي يذكر أن منطقة الواق واق منطقة فقيرة لعدم وجود

الذهب في أراضيها وتبعاً لذلك لا نجد فيها أي تجارة بحرية او برية. (٨٣).

تؤكد جميع النصوص التي بين أيدينا أن التجار العرب كانوا يحملون بضائعهم التي يرغب بها سكان منطقة الذهب (سفالة) ليأخذوا بدلها الذهب، ولنترك البلدانين العرب يصفون لنا طريقة المتاجرة بالذهب بين التجار العرب والزنج. فياقوت يرى بانها كانت تتم كالاتي :

«والحكاية عنهم (أهل سفالة) كما حكينا عن بلاد التبر بارض جنوب المغرب انهم يجلب اليهم الامتعة ويتركها التجار ويمضون ثم يجيئون وقد تركوا ثمن كل شيء عنده، والذهب السفالي معروف عند تجار الزنج». (٨٤).

ومعنى ذلك أن الحصول على ذهب سفالة يتم بطريقة «تجارة الذهب الصامته» التي كانت متعارفة في غرب أفريقيا والتي وصفها ياقوت بصورة تفصيلية (٨٥)، ولكن من الملفت للنظر أنه لم يصف طريقة أدائها في شرق افريقيا واكتفى بالقول انها تجري بنفس الطريقة التي كانت قائمة في غرب أفريقيا.

أما العاج فقد كان من منتجات الشرق الافريقي المهمة، التي جذبت تجار الخليج للتجار مع تلك المناطق. ويبدو أن العاج كان متوفراً بكثرة في افريقيا الشرقية التي اعتبرت المصدر الرئيسي لهذه المادة في العصر الوسيط. وفي هذا يسجل لنا المسعودي الاتي :

عَرَبُ الْخَلِيجِ أَوَّلَ مَنْ عَرَفَ أَفْرِيقِيَا الشَّرْقِيَّةَ وَأَوَّلَ مَنْ اتَّصَلَ بِسُكَّانِهَا

ويشكل الحديد مادة أساسية أخرى جذبت التجار العرب إلى أفريقية الشرقية، التي غدت أهم مصدر لهذه المادة. ويبدو أن تجارة الحديد كانت قد شهدت ازدهارا كبيرا في القرن السادس الهجري، الثاني عشر الميلادي، وليس أدل على ذلك مما ذكره الإدريسي بقوله: «وملندة على ضفة البحر.... وهي مدينة كبيرة... وعندهم معدن حديد يحترفونه ويعملونه وهو جل مكسبهم وتجارتهم. ومن هذه المدينة الى مدينة منبسة على الساحل مسافة يومين وهي مدينة صغيرة للزنج واهلها محترفون باستخراج الحديد من معدنه». (٩٠)

ومن المناطق التي توفر فيها الحديد وامتناز بكثرتة وجودته بلاد سفالة، حيث كانت بعض مدن هذه المنطقة (مثل جنظمة ودندمة) تعتمد عليه في معيشتها وتجارته. (٩١) ويستدل مما ذكره الحميري في القرن السابع الهجري، الثالث عشر الميلادي أن

«والفيلة في بلاد الزنج في غاية الكثرة، وحشية وكلها غير مستأنسة، والزنج لا تستعمل منها شيئا في حروب ولا غيرها، بل تقتلها... لأخذ انيابها، فمن ارضهم تجهز انياب الفيلة» (٨٦). ومعظم عاج الشرق الافريقي كان يصدر الى الخليج العربي، وبالتحديد الى عمان ومن عمان يعاد تصديره الى المناطق التي تطلبه ولا سيما الهند والصين، حيث كان ملوك تلك البلدان يستخدمونه في صناعة ادوات الشطرنج والنرد. وقد امتاز عاج افريقية بجودته وكبر حجمه على ما ذكر المسعودي (٨٧).

وتعد مقاديشو أهم مركز في شرق افريقيا يتزود منه التجار العرب بالعاج، ومنها يحمل الى مختلف البلاد (٨٨) كما كانت معظم مدن الساحل الافريقي الشرقي - على ما يبدو - توفر العاج للتجار الذين يطلبونه حتى اعتبر في بعض المدن الزنجية أهم من الذهب (٨٩).

صناعة الحديد أصبحت من الصناعات المهمة في شرق افريقيا.^(٩٢) كما اشتهر شرق أفريقيا بوجود الانواع الجيدة من المواد العطرية التي نالت شهرة بين العرب. ويعدّ العنبر من اهم انواع الطيب الذي وفرته بلاد الزنج، فهو ينبت في قعر بحر الزنج كما ينبت الفطر والكمأة^(٩٣). ويبدو ان سكان شرقي افريقيا كانت لهم طرق خاصة بجمعه، واول من وصف هذه الطرق المسعودي. اذ يذكر ان لأهل السواحل التي يوجد فيها العنبر نجب يركبونها في الليل، ويسيرون بها على الساحل وفي الجزر القريبة منه حيث يتوفر فيها العنبر والذي يكون قد قذفه البحر بفعل الرياح. ويظهر ان هذه النجب كانت مدربة فما ان تحس بوجود العنبر حتى تبرك فيأخذ اصحابها ما يجدونه من العنبر.^(٩٤) اما الطريقة الاخرى لجمع العنبر فتكون مع اشتداد البحر وقذفه للعنبر من قعره فتبتلعه الحوت المعروفة بالاول فتموت لحالها وتطفو على الماء. وكانت عادة الزنوج رصد هذه الحيتان، فما ان يروها حتى يرموا حبالهم وكلاليبهم لاصطيادها، ثم يستخرجون العنبر من بطونها.^(٩٥) وكان العنبر يصدر عادة الى مناطق الخليج ولا سيما العراق^(٩٦) حيث ازداد طلب الخلفاء والامراء عليه كثيرا لجودة نوعه، ولهذا اصبح مادة مهمة في النشاط التجاري بين الساحل الافريقي الشرقي والخليج العربي.

واتجه التجار الى مناطق توفره في شرق افريقيا مثل مالندي ومقاديشو وغيرهما.^(٩٧)

ويعدّ شرق افريقيا من المواطن الرئيسية لكثير من الحيوانات التي لها سوق رائجة في مناطق مختلفة من اجل استخدامها لشتى الاغراض. فقد توفر في هذه المنطقة النمر والفيلة والزرافات وغيرها. والفيلة - كما اسلفنا - كانت مرغوبة للحصول على عاجها، كما استخدمت وسيلة لركوب الخلفاء والامراء في الاعياد والمناسبات.^(٩٨) اما النمر الزنجية وجلودها فقد كانت معروفة لدى التجار، حيث وصفت جلودها على انها من أفضل الانواع، واستخدمت لصناعة السروج. أما الزرافات فقد حملت من بلاد الزنج الى الملوك والامراء كهدايا لغرابتها.^(٩٩)

وأخيرا عرف عن الشرق الافريقي انه مركز مهم لكثير من انواع الاخشاب الثمينة والمرغوبة، كالابنوس والصندل والساج التي تنمو في غابات بلاد الزنج. والذي يبدو ان مقاديشو كانت مركزا مهما لتزويد التجار بها ولا سيما الصندل والابنوس الذي شكل مادة اساسية في تجارتها.^(١٠٠) كما صدرت زنجبار خشب الابنوس^(١٠١). ويبدو ان السفن العربية كانت تحمل الاخشاب من شرق افريقيا الى الخليج العربي من اجل استخدامه في بناء مدن هذه المنطقة واعداد سقوف للبيوت^(١٠٢).

فضلا عن استخداماته المعروفة
الآخري.

اما عن المواد التي كان يحملها
التجار العرب من الخليج العربي الى
الشرق الافريقي ليبادلوها بالمنتجات
التي ذكرناها باعتبارها الركن الثاني
الذي كان يتحكم في النشاط التجاري
بين الجانبين، فلا نجد لها اي ذكر في
كتب البلدانين العرب. ولعل العذر في
ذلك انها كانت معروفة بالنسبة للتجار
واصحاب المراكب في ذلك العصر.

النظم البحرية والتجارية .

ان النشاط التجاري بين الخليج
والشرق الافريقي الذي قام على تبادل
منتجات الطرفين المتنوعة، تطلب اتباع
نظم وتقاليد بحرية وتجارية متطورة
لتنظيم هذا النشاط. فالرحلة التجارية
الطويلة بين الخليج العربي وشرق
أفريقيا اقتضت من التجار وربابنة
السفن معرفة مراحل هذا الطريق اولا
والعوامل التي تتحكم فيه والمخاطر
التي تجابه السفن التجارية ثانيا.

وسبق ان اشرنا بصورة تفصيلية
الى مراحل هذا الطريق. اما الجانب
الثاني من الامر فيمثل العوامل
والمخاطر التي تتحكم في الرحلة
التجارية بين الخليج وشرق افريقيا،
واهمها معرفة الرياح الموسمية التي
تسير بموجبها السفن التجارية سواء
في الخليج او بحر الزنج وفي هذا يقول
المسعودي : «ولكل من يركب هذه
البحار من الناس رياح يعرفون في

اوقات تكون منها مهابها، قد علم ذلك
بالعادة وطول التجارب يتوارثون علم
ذلك قولاً وعملاً، ولهم فيها دلائل
وعلامات يعملون بها اَبان هيجانه
واحوال ركوده وثورانه».(١٠٣) ثم
يتحدث عن الرياح الموسمية
واتجاهاتها وكيف ان اصحاب السفن
من اهل الخليج يعرفون ان الرياح
تهب في موسمين : ففي الشتاء تندفع
الرياح باتجاه الجنوب الغربي فتخرج
السفن من الخليج الى شرق افريقيا
وتستمر هكذا لمدة ستة أشهر، اما في
الصيف فتندفع الرياح باتجاه شمالي
شرقي بحيث تمكن السفن العربية من
العودة من شرق افريقيا الى اوطانهم في
الخليج(١٠٤) وهكذا استطاع تجار
الخليج العربي بفضل هذه المعرفة
والمعرفة الفلكية الوصول الى سواحل
الشرق الافريقي بسلام.

كان من الضرورات التي يعرفها
التجار والملاحون الذين يزاولون
نشاطهم التجاري بين الخليج وشرق
افريقيا وجود المخاطر عبر الطريق
البحري. فالسفن التجارية الخارجة
من منطقة البصرة والاتية عبر الخليج
تلاقي في طريقها المنعطفات الضيقة
والصعبة والهوارات الكثيرة وكثرة
اللصوص. وقد تحدث عدد من
البلدانيين العرب عن هذه المخاطر
وكيفية التغلب عليها. فابن حوقل،
الذي ينقل عن الاصطخري، يشير في
خلال حديثه عن الخليج العربي
قائلاً: وفي هذا البحر هيارات كثيرة

ومعاطف صعبة وأجوان مختلفة واشدها ما بين جنابة والبصرة فانه مكان يسمى هور جنابه وهو مكان مخوف لا يكاد تسلم منه سفينة من هيجان البحر»^(١٠٥).

وقد وضعت الحلول لمجابهة هذه المخاطر، فقد تم انشاء برج اوفنار من الخشب اطلق عليه البلدانانيون اسم «الخشببات» في منطقة البصرة، وهو عبارة عن «أربع خشبات منصوبة قد بني عليها مرقب يسكنه ناظور يوقد بالليل يهتدى به، ويُعلم به المدخل الى الدجلة، واذا ضلت السفينة فيه خيف انكسارها لرقعة الماء....»^(١٠٦) واذا انحدرت السفن التجارية في مياه الخليج فعليها ان تتجنب هجمات اللصوص والقراصنة، ولذلك فان السفن كانت، في اغلب الاحيان، تحمل المقاتلين والنفاطين ردًا لهذه الهجمات^(١٠٧).

ولا تقل المخاطر التي تجابه حركة السفن التجارية في مرحلتها الثانية بين الخليج وشرق أفريقيا ونقصد بذلك رحلتها في بحر الزنج صعوبة عن المرحلة الاولى، حيث تظهر الامواج العالية والاهوال التي لا تحصى كثرة فيه. ويصف المسعودي امواج هذا البحر بأنها عظيمة كالجبال الشواهد، وان ارباب المراكب من أهل الخليج العربي، ولا سيما العمانيين، يقولون عنه «انه موج اعمى يريدون بذلك انه يرتفع كارتفاع الجبال، وينخفض كأخفض ما يكون في الاودية، لا ينكسر

موجه، ولا يظهر في ذلك زبد، كتكسر سائر البحار، ويزعمون انه موج مجنون»^(١٠٨) ويبدو ان هذه الاهوال قد اتت على الكثير من السفن الخليجية التي ركبت بحر الزنج، وقد اكد ابن سعيد في القرن ٧ هـ/ ١٣ م هذه الاهوال والمخاطر التي تجابه السفن في بحر الزنج^(١٠٩) ولكن هذا الامر لم يثن التجار العرب عن المتاجرة مع شرق أفريقيا محاولين التغلب على صعابه بالمعرفة والتجربة الطويلة.

ومن الجدير بالملاحظة، ان الحركة التجارية بين الخليج العربي وشرق افريقيا تطلبت تأمين مناطق وقوف للسفن التجارية ومراكز لتجميع البضائع وامكن أمنة يمكن للتجار العرب اللجوء اليها في الفترة الواقعة بين موسمي الرياح الموسمية ؛ وهذا ما سنحاول التطرق اليه من خلال الاشارة الى محطات الوقوف في شرق افريقيا ومن ثم ما يقابلها في الخليج العربي.

كانت جزيرة قنبلو اقدم محطة تجارية لجأ اليها تجار الخليج العربي باعتبارها مركز وقوف لهم للانطلاق الى سفالة الزنج وربما كانت مركزا لتجميع البضائع التي يراد حملها بعد ذلك الى الخليج العربي^(١١٠) حتى القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي. اما بعد ذلك فقد حلت مقاديشو محلها مركزا لوقوف السفن التجارية يمكث فيها التجار العرب

فترة محددة ويمارسون نشاطهم التجاري لحين مغادرتهم للسواحل الافريقية. وربما اكتسبت هذه المدينة اهميتها باعتبارها مدينة كبيرة لاستقبال التجار في ساحل بلاد الزنج، كما أشرنا انفا. ومنذ القرن ٧ هـ/١٣م اصبحت مدينة مقاديشو مركزا ومحطة تجارية مهمة للتجار العرب، حيث يذكر ابن سعيد، نقلا عن الرحالة ابن فاطمة الذي زار هذه المدينة «انها مدينة الاسلام المشهورة في ذلك الصقع والمترددة الذكر على السن المسافرين وهي مقدشو»^(١١١). ويضيف أيضا «واهلها مجمعون في الاقطار، وهي بلد حط واقلاع»^(١١٢) وليس هناك أفضل من شهادة ابن فاطمة عن المكانة التي كانت تتمتع بها هذه المدينة في الساحل الافريقي الشرقي.

احتفظت مدينة مقاديشو بمكانتها التجارية - كما يبدو - في القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي فابن بطوطة الرحالة العربي المشهور الذي زار هذه المدينة واقام فيها مدة من الزمن يشير بعد أن يصفها بأنها مدينة متناهية الكبر، فان «اهلها تجار اقوياء»، وان المراكب تصل الى مرساها باستمرار وفي مختلف الاقطار، وان حكام هذه المدينة وسكانها كانوا دائما مستعدين لاستقبال السفن التجارية وما تحمله من بضائع وسلع، ولهم في ذلك تقاليد خاصة^(١١٣).

ومن المراكز التجارية المهمة التي كانت تتوقف فيها السفن مدينة مومباسا، ويسمىها الكتاب العرب (منبسة)، ويبدو أن وقوعها على ضفة خور كبير قد سهّل دخول السفن التجارية اليها.^(١١٤) ومع اننا لا نريد أن نخوض هنا في جميع المحطات والمراكز التجارية التي تتوقف عندها السفن التجارية العربية لشراء بعض البضائع او للراحة او للتزود بما تحتاج اليه وما الى ذلك، وهي من المؤكد نفس المدن والمراكز التي وصفناها في مراحل الطريق التجاري بين الخليج وشرق افريقيا التي اشرنا اليها : فاننا في الوقت نفسه نشير الى آخر محطة تجارية يقصدها التجار العرب ويستقرون فيها ردا من الزمن من اجل جمع البضائع المتوفرة فيها، ونقصد بذلك منطقة سفالة بمدنها المتعددة. ولعل المسعودي كان اول من أشار الى وصول تجار الخليج، ولا سيما العمانيين، الى بلاد سفالة الواقعة في اقاصى بلاد الزنج. وكان غرض التجار من قيادة مراكبهم الى تلك المنطقة هو الحصول على الذهب الذي يعد اول منتجات المنطقة واهمها فضلا عن الحديد. ويبدو ان التجار العرب كانوا يعرفون المدن السفالية التي تعد مراكز لتجميع الذهب الذي يحمل من مناجمه، واهم هذه المدن بتينه وجنظمة وبوخة وبسطة ودغواطة^(١١٥)

أما أهم المحطات والمراكز التجارية

شرق افريقيا لتعود محملة بالذهب والعاج والعنبر والاشخاش الثمينة.

ولا بد ونحن بصدد التنظيمات الخاصة بالنشاطات التجارية بين الخليج العربي وشرق افريقيا من الاشارة الى ان السفن التي تنقل البضائع من شرق افريقيا واليه كانت مراكز يمتلكها عرب الخليج وهذا ما أكدته لنا نصوص البلدانين^(١١٩) فالادريسي يشير الى ذلك بصورة صريحة بقوله : «وليس للزنج مراكز يسافرون فيها وانما تدخل اليهم المراكب من عمان وغيرها... فيبيعون هناك متاعهم ويشتررون متاع الزنج»^(١٢٠) وكان يقود هذه المراكب عادة ربابة عرب متخصصون بالسفر الى شرق افريقيا نظرا لطبيعة بحر الزنج واهواله التي سبق الحديث عنها، أما ملكية هذه المراكب فاما انها كانت تعود الى تاجر هي وحمولتها^(١٢١)، او انها تستأجر من مالكة ويكون عادة من ربابة السفن المشهورين في السفر بين الخليج وبلاد الزنج^(١٢٢).

ومن التنظيمات التجارية الجديرة بالذكر ان التجار العرب القادمين الى مدن الساحل الافريقي الشرقي يجدون فيها من المرشدين أو الوكلاء المحليين الذين يساعدونهم في اقامتهم وتصريف بضائعهم وشراء ما يريدون. ولعل ما شاهده ابن بطوطة في القرن الثامن الهجري، الرابع عشر الميلادي في مدينة مقاديشو خير ما يوضح لنا

الواقعة على الطريق التجاري الذي يربط الخليج بشرق افريقيا في مرحلته الاولى، والتي كانت تتلقى الضائع التجارية الواردة الى الخليج وتخزينها من اجل تصديرها الى بلدان العالم المختلفة فنذكر منها على سبيل المثال عمان والبصرة. فقد عرفت عمان بخصوصيتها في النشاط التجاري بين الخليج وشرق افريقيا، باعتبارها قاعدة الخليج التي تستقبل السفن القادمة اليه والذاهبة منه الى مختلف الاقطار. وقد تكلم معظم البلدانين العرب عن نشاط عمان التجاري، باعتبارها تتمتع بموقع استراتيجي يجعلها محطة تجارية في التجارة الذاهبة والقادمة من شرق افريقيا^(١١٦).

وكانت البصرة الواقعة في رأس الخليج العربي الشمالي من الموانئ الرئيسية المهمة في الخليج لمكانتها التجارية حيث اعتبرها اليعقوبي. مدينة الدنيا ومعدن تجارتها واموالها^(١١٧). وهي على حد قول المقدسي «فرضة البر ومطرح البحر»^(١١٨) وهكذا فان موقع البصرة الاستراتيجي قد جعلها اشبه بمجمع تسويقي تخزن فيه البضائع الواردة التي تحملها السفن من الاقطار المختلفة وفي مقدمتها شرق افريقيا ليعاد توزيعها على المراكز التجارية التي تطلبها. والى جانب ذلك فان البصرة تعد أول محطة تجارية تنطلق منها السفن الخليجية في رحلتها الى

ذلك، فهو يقول :

«ما ان يعلم اهل مقديشو بوصول سفينة الى ميناء مقديشو، حتى يرسلوا الصنابيق وهي القوارب الصغار اليها، وفي كل واحد منها جماعة من أهل مقديشو، يصعدون الى المراكب ومع كل واحد منهم طبق فيه الطعام يقدمه الى احد تجار السفينة القادمة، ولا يكتفي بذلك، بل يدعوه الى النزول عنده، وهكذا يغادر كل تاجر في السفينة الى دار نزله من سكان مقديشو، وتكون مهمة النزول عادة مساعدة التاجر في بيع ما عنده اولاً، ثم مساعدته في شراء ما يريده ثانياً. ويخبرنا ابن بطوطة - أن هذه العادة لا تتبع مع التاجر الكثير التردد على مقديشو، بسبب معرفته بها وبأهلها، حيث تترك له حرية النزول حيث يشاء» (١٢٣).

ويبدو أن حاكم مقديشو كان هو الآخر يهتم بشأن السفن التجارية القادمة الى مدينته، فهو الآخر كان يرسل صنبوقه لدى وصول اية سفينة للسؤال عن المكان الذي قدمت منه، ومن هوربان السفينة وصاحبها، وما هي نوع البضاعة التي تحملها، ومن هم التجار القادمون فيها فاذا تم له معرفة ذلك، فانه يدعو من يستحق النزول عنده الى ضيافته. (١٢٤) ولم يشر ابن بطوطة الى اوصاف الشخص

الذي ينال ضيافة السلطان، هل هو اغنى التجار، أم هل هو حامل البضائع التي يرغب فيها حاكم مقديشو، او انه صاحب معرفة بالسلطان او غير ذلك من الاوصاف ؟ وهكذا نجد من اعراف اهل مقديشو التجارية ما يدل على وجود تقاليد ورسوم معروفة لمن مارسوا النشاط التجاري مع شرق افريقيا.

وهكذا تعكس لنا صفحات هذا البحث صورة عن اهم ما احتوته مدونات البلدانين العرب من معلومات عن العلاقات التجارية بين الخليج العربي وشرق افريقيا. وبالرغم من ان معلوماتهم في هذا المجال كانت في كثير من الاحيان قليلة وربما ناقصة، فان ذلك لم يمنعنا من رسم صورة مناسبة لطبيعة تلك العلاقات على ضوء ما ذكره البلدانون العرب. كما ان ما أورده هؤلاء من معلومات يدل على قدم وسعة العلاقات التجارية بين الجانبين وعمقها، تلك العلاقات التي كانت ذات أثر كبير ليس فقط في نشر العقيدة الاسلامية بين سكان الشرق الافريقي، وانما في الاستقرار المؤقت او الدائم للتجار العرب في المراكز التجارية في افريقيا الشرقية، وما تبعه من تغيرات واسعة في الاوضاع الاقتصادية والسياسية والاجتماعية في المنطقة.

المراجع

- ١ - سبنسر ترمنكهام، الاسلام في شرق أفريقيا، ترجمة احمد عاطف النواوي (القاهرة، ١٩٧٣) ص ٣٥.
- ٢ - أبو الحسن علي بن الحسن بن علي المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد (القاهرة ١٩٦٤)، ج ١ ص ١١٥ : انظر ايضا محمد عبد الغني سعودي، الاتصالات العربية الافريقية في العصور القديمة، في : العلاقات العربية الافريقية، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم معهد البحوث والدراسات العربية (القاهرة، د.ت) ص ص ٢٤ - ٢٦.
- ٣ - جمال زكريا قاسم، استقرار العرب في ساحل شرق أفريقيا، حوليات كلية الآداب، جامعة عين شمس، المجلد العاشر (١٩٦٧) ص ٢٨١.
- ٤ - خولة شاكر الدجيلي، العلاقات العربية الاسلامية مع الساحل الافريقي الشرقي حتى القرن التاسع الهجري، رسالة دكتوراة غير منشورة في جامعة بغداد، كلية الآداب، ١٩٨٠، ص ١٤٠.
- ٥ - للتفاصيل انظر. ج. س. ولكنس بنو الجلندي في عمان (عمان، ١٩٨٢) ص ٥.
- ٦ - عامر محمد الحجري، «تاريخ العلاقات العمانية الافريقية : بداية التواجد العماني في شرق افريقيا»، مؤتمر دراسات تاريخ شرق الجزيرة العربية (الدوحة، قطر، ١٩٧٦) ص ص ٧٧٦ - ٧.
- ٧ - تاريخ عمان : كشف الغمة الجامع لآخبار الامة، تحقيق عبد المجيد حسيب القيسي (عمان، ١٩٨٠) ص ٤٢.
- ٨ - أحمد حمود المعمرى، عمان وشرقي أفريقيا، ترجمة محمد أمين عبد الله (عمان، ١٩٧٩) ص ٤٣.
- ٩ - قاسم، استقرار العرب في ساحل شرق افريقيا، ص ٢٨٧.
- ١٠ - محمد محمد أمين، تطور العلاقات العربية الافريقية في العصور الوسطى في : العلاقات العربية الافريقية، معهد البحوث والدراسات العربية (القاهرة، د.ت) ص ٤٨.

١١ - جمال زكريا قاسم، الاصول التاريخية للعلاقات العربية الافريقية (القاهرة، ١٩٧٥) ص ٦١ : انظر ايضا : A. Warner, "A Sahili History of Pate", Journal of African Society, Vol. XIV, (1913), P. 153.

١٢ - قاسم، استقرار العرب في ساحل شرق افريقيا، ص ص ٣١٢ - ١٤ .
١٣ - لقد توالى هجرات عدد من الاسر العمانية الى شرق افريقيا بحيث استطاعت السيطرة على هذا الساحل منها، اسرة اليعاربة، والاسرة المزروعية، واسرة البوسعيد. للتفاصيل انظر : نور الدين عبدالله بن حميد السالمي، تحفة الاعيان بسيرة اهل عمان (القاهرة، ١٣٤٧) ج ٢ ص ٩٨، ٢٢٠ : مبارك بن علي الهنائي، العمانيون وقلعة ممباسا (عمان، ١٩٨٠) ص ص ١٥ - ١٦ : قاسم، استقرار العرب، ص ص ٣١٤ - ٦.

١٤ - ابو القاسم بن حوقل، كتاب صورة الارض (بيروت، د.ت) ص ٦٣ : قاسم الاصول التاريخية للعلاقات العربية الافريقية، ص ٥ : S. Trimingham, Notes on Arabic Sources of Information of East Africa in: East Africa and the Orient, ed. by H. Neville Chittick and Robert I. Rotberg. (African Publishing Company, New York, 1975), (Appendix I,) P. 273.

١٥ - أبو القاسم عبيد الله بن عبدالله المعروف بابن خرداذبة، المسالك والممالك (لندن، ١٨٨٩) ص ٦.

١٦ - أبو زيد السيرياني، أخبار الصين والهند ضمن كتاب (في رحلات العرب)، (بيروت، ١٩٧٤)، ص ٧٤.

١٧ - المسعودي، المصدر السابق، ج ١ ص ٣١٨ : سليمان التاجر، أخبار الصين والهند ضمن كتاب (في رحلات العرب) (بيروت، ١٩٧٤) ص ٢٢ .

١٨ - جورج فضل حوراني، العرب والملاحة في المحيط الهندي في العصور القديمة واولائل العصور الوسطى، ترجمة السيد يعقوب بكر (القاهرة، ١٩٥٨، ص ص ٢٢٩ - ٣٠ .

١٩ - اغناطيوس كراتشكوفسكي، تاريخ الادب الجغرافي العربي، ترجمة صلاح الدين عثمان (القاهرة، ١٩٦٣) ج ١ ص ص ١٨٣ - ٥ .

٢٠ - J.S. Trimingham, "The Arab Geographers and East African Coast in: East Africa and the Orient, ed. by Chittick and Rotberg (New York, 1975), PP. 129-30; Chittick," The People of the East African Coast, in: East Africa and the Orient, P. 23.

- ٢١ - المسعودي، مروج الذهب ج ١ ص ١٠٨ .
- ٢٢ - T. Lewicki, Arab external sources for the history of Africa to the South of Sahara (Waroclaw, 1969), PP. 38-9.
- ٢٣ - ابن حوقل، المصدر السابق، ص ٦٣ : كراتشكوفسكي، المصدر السابق، ج ١ ص ٢٠٣ .
- ٢٤ - انظر ر. ج. لاندن، عمان منذ ١٨٥٦ مسيرا ومصييرا، ترجمة محمد أمين عبدالله (عمان، ١٩٧٠) ص ١٩ - ٢٠ .
- ٢٥ - انظر ابو عبيدالله بن عبدالعزيز البكري، المسالك، والممالك، مخطوطة مصورة محفوظة في مكتبة الدراسات العليا في كلية الاداب / جامعة بغداد رقم ١٢٦٠، وهي نسخة مصورة عن نسخة مكتبة نور عثمانية في اسطنبول تحت رقم No. 3034 ج ٢ ورقة ١٨٧ أ. والحقيقة اننا اعتمدنا هذه المخطوطة لان فيها معلومات كثيرة عن شرق افريقيا لا توجد اطلاقا في كتاب البكري المنشور.
- ٢٦ - البكري، المصدر نفسه، ورقة ١٨٧ أ.
- ٢٧ - كراتشكوفسكي، المصدر السابق، ج ١ ص ٢٨٧ .
- ٢٨ - ابو عبدالله محمد بن محمد الشريف الادريسي، نزهة المشتاق في اختراق الافاق، نسخة مصورة بالفوتستات عن نسخة البودلاين - اكسفورد، محفوظة في مكتبة المجمع العلمي العراقي رقم (١٥ - جغرافية)، ورقة ٦٠. وتمتاز هذه النسخة المخطوطة لكتاب الادريسي - حسب علمنا - بان فيها من المعلومات عن شرق افريقيا ما لم يتوافر في النسخ المنشورة الاخرى.
- ٢٩ . Lewicki, op. Cit, P.65.
- ٣٠ - الادريسي، المصدر السابق، ورقة ٥٢ .
- ٣١ - كراتشكوفسكي، المصدر السابق، ج ١ ص ٣٣٤ - ٥ .
- ٣٢ - ياقوت الحموي، معجم البلدان (دار صادر - دار بيروت، ١٩٥٥ - ١٩٥٩) ج ٥ ص ١٧٣ .
- ٣٣ - كراتشكوفسكي، المصدر السابق، ج ١ ص ٣٥٨ - ٩ .
- ٣٤ - أبو الحسن علي بن موسى بن سعيد المغربي، كتاب الجغرافية، تحقيق اسماعيل العربي (بيروت، ١٩٧٠، ص ٦٣ (المقدمة) .
- ٣٥ - تاريخ الادب الجغرافي العربي، ج ١ ص ٤٢١ .

٣٦ - محمد بن عبدالله اللواتي المعروف بابن بطوطة، تحفة النظار في غرائب الامصار وعجائب الاسفار، تحقيق علي المنتصر الكتاني (بيروت، ١٩٧٩) ج ١ ص ١٦ .

٣٧ - ابن بطوطة، المصدر نفسه، ج ١ ص ١٨٠ - ٨٢.

٣٨ - المسعودي، المصدر السابق، ج ٢ ص ٦، ١١٠، الاضطخري، المسالك والممالك، ص ١٩: ابن حوقل، المصدر السابق، ص ٤٩: البكري، المصدر السابق، ج ٢ ورقة ١٨٧ ب، ١٨٨ أ.

٣٩ - مروج، ج ١ ص ١٠٧.

٤٠ - المصدر نفسه.

٤١ - ابن سعيد، المصدر السابق، ص ٨٢: انظر ايضا شمس الدين ابي عبدالله محمد بن ابي طالب الانصاري الدمشقي المعروف بشيخ الربوة، نخبة الدهر في عجائب البر والبحر (لايبزك، ١٩٢٣) ص ١١١.

٤٢ - معجم، ج ٢ ص ١٠٦.

٤٣ - ياقوت الحموي، معجم، ج ٥ ص ١٧٣: زكريا بن محمد بن محمود القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، دار بيروت، ١٩٦٠، ص ٦٢.

٤٤ - ياقوت، المصدر السابق، ج ٢ ص ٢٢٤: المسعودي، المصدر السابق ج ٢ ص ٦.

٤٥ - مروج الذهب، ج ٢ ص ٦.

٤٦ - المصدر نفسه.

٤٧ - نزهة المشتاق، ورقة ٥٢.

٤٨ - المصدر نفسه، الورقات ٥٢ - ٣.

٤٩ - المصدر نفسه، ورقة ٥٣.

٥٠ - شيخ الربوة، المصدر السابق، ص ١١٤.

٥١ - الادريسي، المصدر السابق، ورقة ٧٠.

٥٢ - المسعودي، المصدر السابق، ج ١ ص ١٠٧.

٥٣ - الادريسي، المصدر السابق، ورقة ٥٢، ابن سعيد، المصدر السابق، ص ٨٣.

٥٤ - ابن سعيد، المصدر السابق،

٥٥ - نزهة المشتاق، ورقة ٧٠.

٥٦ - أبو علي أحمد بن عمر بن رسته، كتاب الاعلاق النفيسة (ليدن، ابريل، ١٨٩١) ص ٨٦، ابو بكر احمد بن محمد الهمداني المعروف بابن الفقيه،

مختصر كتاب البلدان (ليدن، ١٣٠٢) ص ١١.

- ٥٧ - لندن، المصدر السابق، ص ٢١، نقولا زيادة، الجغرافية والرحلات عند العرب (بيروت، ١٩٦٢) ص ٢٢٤، عبدالجبار ناجي، العلاقات التجارية بين البحرين والعراق خلال العصر الوسيط، مجلة الوثيقة (البحرينية)، العدد السادس السنة الثالثة (يناير، ١٩٨٥) ص ١٠٨.
- ٥٨ - مروج الذهب، ج ١ ص ٣٠٨.
- ٥٩ - ابن حوقل، المصدر السابق، ص ٤٧، ناجي، المصدر السابق ص ١١٧ - ٨.
- ٦٠ - المسعودي، المصدر السابق، ج ١ ص ١١٠، ابن الفقيه - المصدر السابق، ص ١١، ابن حوقل، المصدر السابق ص ١٦، البكري، المصدر السابق، ج ١ ورقة ١١١٥، ١٦٧.
- ٦١ - مروج الذهب، ج ١ ص ١١.
- ٦٢ - المسالك والممالك، ج ١ ورقة ٦٧.
- ٦٣ - ابو القاسم عبيد الله بن عبد الله المعروف بابن خردادبة، المسالك والممالك (لندن، ١٨٨٩) ص ٦٠ - ٦١ الادريسي، المصدر السابق، ورقة ٥٣، عماد الدين بن محمد بن عمر المعروف بأبي الفداء، تقويم البلدان، تحقيق البارون ماك كوكيني ديسلان (باريس، ١٨٤٠) ص ١٥١ - ٥٢.
- ٦٤ - المسعودي، المصدر السابق ج ١ ص ١٠٧، ابن سعيد، المصدر السابق، ص ٨١، ابن بطوطة، المصدر السابق، ج ١ ص ٢٨٣.
- ٦٥ - سلطنة عمان، وزارة التراث القومي والثقافة، عمان في امجادها البحرية، عدد ٨ (عمان، ط ٢، ١٩٨٠) ص ٦٨ - ٧٠.
- ٦٦ - الادريسي، المصدر السابق، الاوراق ٥٢، ٦٠، ٧٠.
- ٦٧ - المسالك والممالك، ص ٦٠ - ٦١.
- ٦٨ - مروج الذهب، ج ١ ص ١٠٧ - ٨.
- ٦٩ - مروج الذهب، ج ١ ص ٩٨.
- ٧٠ - Trimingham, The Arab Geographers and the East African Coast, pp. 129-36.
- Ibid, P. 136 - ٧١
- ٧٢ - نزهة المشتاق، الورقات ٥٢ - ٥٣.
- ٧٣ - المصدر نفسه، ورقة ٥٣.
- ٧٤ - المصدر نفسه ورقة ٦٠.
- ٧٥ - الجغرافية، ص ٨١، تقويم البلدان، ص ١٥١.
- ٧٦ - الجغرافية، ص ٨٢.

- ٧٧ - ابن سعيد، المصدر نفسه، ص ٨٣ - ٥، ابو الفداء المصدر السابق، ص ١٥٢.
- ٧٨ - نزهة المشتاق، ورقة ٧٠.
- ٧٩ - مروج، ج ٢ ص ٦.
- ٨٠ - نزهة المشتاق، ورقة ٧٠.
- ٨١ - رحلة ابن بطوطة، ج ١ ص ٢٨٣.
- ٨٢ - Trimingham, The Arab Geographers, p. 20 ويبدو ان ترمينكهام يبنى افتراضه هذا بوجود مناجم الذهب في شرق افريقيا على اشارة ابن الفقيه الى «ذهب واق واق».
- ٨٣ - نزهة المشتاق، ورقة ٧٠.
- ٨٤ - معجم البلدان، ج ٣ ص ٢٢٤.
- ٨٥ - المصدر نفسه، ج ٢ ص ١٢ - ٣.
- ٨٦ - مروج الذهب، ج ٢ ص ٦.
- ٨٧ - المصدر نفسه، ج ٢ ص ٦، انظر ايضا البكري، المصدر السابق، ورقة ١٨٨م.
- ٨٨ - ياقوت، المصدر السابق، ج ٥ ص ١٧٣، القزويني، المصدر السابق، ص ٦٢.
- ٨٩ - ابن بطوطة، المصدر السابق، ج ٢ ص ٢٨٤.
- ٩٠ - نزهة المشتاق، ورقة ٥٢.
- ٩١ - المصدر نفسه، ورقة ٦٠، ابن سعيد، المصدر السابق، ص ٨٣.
- ٩٢ - محمد عبد المنعم الحميري، كتاب الروض المعطار في خبر الاقطار، تحقيق احسان عباس (بيروت، ١٩٧٥) ص ٥٥٢ - ٥٥٤.
- ٩٣ - المسعودي، المصدر السابق، ج ١ ص ١٥١، ابن خرداذبة، المصدر السابق، ص ٦١، البكري، المصدر السابق، ج ١ ورقة ١١٥م.
- ٩٤ - مروج الذهب، ج ١ ص ١٥٠.
- ٩٥ - المصدر نفسه، ج ١ ص ١٥٠ - ١، انظر ايضا البكري، المصدر السابق، ج ١ ورقة ١١٥م.
- ٩٦ - المسعودي، المصدر السابق، ج ١ ص ١٥١، البكري، المصدر السابق ج ١ ورقة ١١٥.
- ٩٧ - ياقوت، ج ٥ ص ١٧٣، القزويني المصدر السابق ص ٦٢.
- ٩٨ - المسعودي، المصدر السابق، ج ٢ ص ١٢.
- ٩٩ - المصدر نفسه، ج ٢ ص ٤، البكري، المصدر السابق، ج ١ ورقة ١١٨٨.
- ١٠٠ - ياقوت، المصدر السابق، ج ٥ ص ١٧٣، القزويني، المصدر السابق، ص ٤٤.
- ١٠١ - شيخ الربوة، المصدر السابق ص ١٦٢.

- ١٠٢- ياقوت المصدر السابق، ج ٥ ص ١٩٣، ابو الفداء، المصدر السابق، ص ٣٢٧.
- ١٠٣- مروج، ج ١ ص ١١٢.
- ١٠٤- المصدر نفسه، ج ١ ص ١١٥ - ٦.
- ١٠٥- صورة الارض، ص ٥٢.
- ١٠٦- المصدر نفسه، ص ٥٢، المقدسي البشاري، احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم (لندن، ١٩٠٦) ص ١٢، المسعودي، المصدر السابق ج ١ ص ١٤٩.
- ١٠٧- المقدسي، المصدر السابق، ص ١٢، الادريسي، المصدر السابق ورقة ٥٥.
- ١٠٨- مروج الذهب، ج ١ ص ١٠٧.
- ١٠٩- الجغرافية، ص ٨١ - ٤.
- ١١٠- المسعودي، المصدر السابق، ج ١ ص ٩٨، ١٠٧ - ٨.
- ١١١- الجغرافية، ص ٨١.
- ١١٢- المصدر نفسه، ص ٨٤.
- ١١٣- رحلة ابن بطوطة، ج ١ من ص ٢٧٩ - ٨٠، انظر ايضا شيخ الربوة، المصدر السابق، ص ٢٦٩.
- ١١٤- الادريسي، المصدر السابق، ورقة ٥٢، ابن بطوطة، الرحلة، ج ١ ص ٢٨٣.
- ١١٥- المسعودي، المصدر السابق، ج ١ ص ١٧، الادريسي، المصدر السابق، ورقة ٥٢، ابن سعيد، المصدر السابق، ص ٨٣، ابن بطوطة، المصدر السابق، ج ١ ص ٢٨٣.
- ١١٦- المسعودي، المصدر السابق، ج ٢ من ص ٦ - ٧، ابن حوقل، المصدر السابق، ص ٥٤ - ٥، المقدسي، المصدر السابق، ص ٩٢، البكري، المصدر السابق، ج ١ ورقة ١٨٧ أ ب، الادريسي المصدر السابق، ورقة ٥٥، ابن بطوطة، المصدر السابق، ج ١ ص ٢٨٥.
- ١١٧- البلدان، ص ٣٢٣.
- ١١٨- احسن التقاسيم، ص ١٢٨.
- ١١٩- المسعودي، المصدر السابق، ج ١ ص ١٠٧، الادريسي، المصدر السابق، ورقة ٥٣.
- ١٢٠- نزهة المشتاق، ورقة ٥٣.
- ١٢١- ابن بطوطة، المصدر السابق، ج ١ ص ٢٦٧.
- ١٢٢- المسعودي، المصدر السابق، ج ١ ص ١٠٨.
- ١٢٣- الرحلة، ج ١ ص ٢٧٩.
- ١٢٤- المصدر نفسه، ج ١ ص ٢٨٠.